

## الفصل الثالث

### القضية اليهودية تلتقى مع المسألة الشرقية

#### ناپليون يدعو اليهود لحمل السلاح

من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين :

أيها الإسرائيليون ، أيها الشعب الفريد الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومى ، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط .

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدين - وإن لم تكن لهم مواهب المتنبئين مثل «إشعيا» ، ويوثيل» - قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من دمار وشيك لمملكتهم ووطنهم : أدركوا أن عتقاء الله سيعودون لصهيون وهم يغنون ، وتغمرهم الغبطة والسرور ويهرب الحزن والأين (إشعيا - ٣٥ : ١٠) .

انهضوا إذن بسرور أيها المبعدون . إن حرباً لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، تخوضها أمة دفاعاً عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التى توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغى أن تقسم بينهم حسب أهوائهم . وبجرة قلم من مجلس الوزراء تقوم للنار وللعار الذى لحق بها وبالأم الأخرى البعيدة . ولقد نسى ذلك العار تحت قيد العبودية والخزى الذى أصابكم منذ ألفى عام . ولئن كان الوقت والظروف غير ملائمة للتصريح بمطالبكم أو التعبير عنها ، بل وإرغامكم على التخلّى عنها ،

فإن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل فى هذا الوقت بالذات، وعلى عكس جميع التوقعات .

إن الجيش الذى أرسلتني العناية الإلهية به، والذي يقوده العدل ويواكبه النصر جعل القدس مقراً لقيادتي، وخلال بضعة أيام سينقل إلى دمشق المجاورة التى لم تعد ترهب مدينة داود .

### يا ورثة فلسطين الشرعيين

إن الأمة التى لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب (٦ : ٤ يوثيل) تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم، بل لأخذ ما تم فتحه والاحتفاظ به بضمائنها وتأييدها ضد كل الدخلاء .

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخدم شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخرى شرقاً لإسبرطة وروما (المبكيين ١٢ : ١٥)، وإن معاملة العبودية التى دامت ألفى عام لم تفلح فى إخمادها .

سارعوا! إن هذه هى اللحظة المناسبة - التى قد لا تتكرر لآلاف السنين - للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التى سلبت منكم لآلاف السنين، وهى وجودكم السياسى كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعى المطلق فى عبادة يهوه، طبقاً لعقيدتكم، علناً وإلى الأبد (يوثيل - ٢٠ : ٤) <sup>(١)</sup> .

قلة فقط هم الذين لا يجهلون الآن حقيقة أن نابليون بونابرت كان أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية فى فلسطين قبل وعد بلفور بـ ١١٨ سنة، بل إن ايزمان وصف نابليون بأنه «أول الصهيونيين الحديثين غير اليهود» <sup>(٢)</sup> .

لقد اختار نابليون الوقت الذى كان فيه فى سوريا ضمن حملته الكبرى على الشرق للاعتراف بحقوق اليهود . وفى ربيع عام ١٧٩٩م، أصدر بياناً طلب فيه من يهود

إفريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء مملكة القدس القديمة . وقد اتضح أن البيان الذى ادعى أنه صادر عن «قيادة ناپليون فى القدس» كان فيه دعاية حربية ؛ لأن ناپليون لم يقترب بفرقة قط من المدينة ، بل تتهقرت من فلسطين إلى مصر بحراً بعد هزيمته فى عكا فى شهر آيار / مايو عام ١٧٩٩م<sup>(٣)</sup> ، ولم يكن هناك أى أمل فى أن يفى بوعد الذى قطعه فى بيانه .

لكن هذا لا يعنى أن البيان كان «التفاته خالية من المعنى»<sup>(٤)</sup> ، ومن الجدير بالذكر أن شائعات غير رسمية عن نوايا ناپليون الصهيونية راجت عشية حملته للشرق ، وهيات الأرضية لهذا البيان . وكانت رسالة غفلاً من التوقيع قد انتشرت بين اليهود الإيطاليين (الذين اعتبروا ناپليون محررهم العظيم) تتضمن خططاً منفصلة عن بعث اليهود كأمة ، وقد ظهرت الرسالة مطبوعة فى فرنسا وإنجلترا<sup>(٥)</sup> حيث كان «دعاة النهضة» الإنجليز يرقبون حملة ناپليون والغيرة تملأ قلوبهم ، ويلقون باللوم على الساسة الإنجليز فى إضاعة الفرصة من أيديهم .

فى أبريل ١٧٩٨م ، نشرت صحيفة ( La Decade Philosophique Litteraire ) الرسالة التى عبرت عن قناعتها بأن اليهود سيدعمون فرنسا فى فلسطين بالرجال والأموال ، «سيتمفقون جماعات لا من أجل جعل الصناعة مزدهرة فحسب ، بل لتحمل نفقات الثورة فى سوريا ومصر»<sup>(٦)</sup> .

ومن الأهمية بمكان ، أن مقدمة البيان تخاطب اليهود بشكل مباشر على أنهم «الورثة الشرعيون لفلسطين» ، وتعيد للأذهان «نبوءات إشعيا ، ويوثيل» التوراتية عن عودة اليهود إلى صهيون ، والأهم من ذلك ، أن الرسالة التى لم تكن تحمل توقيعاً تحدثت عن حدود دولة إسرائيل المقترحة بعبارات تجارية أكثر منها توراتية :

إن الدولة التى ننوى إقامتها ستشمل (بالاتفاق مع فرنسا) مصر السفلى ، بالإضافة إلى منطقة يحدها خط يمتد من عكا إلى البحر الميت . . وهذا الموقع الذى يعد أكثر المواقع فائدة فى العالم سيجعلنا ، عن طريق السيطرة على ملاحه البحر الأحمر ، سادة تجارة الهند والجزيرة العربية وجنوب وشرق إفريقيا والحشة وإثيوبيا . .<sup>(٧)</sup>

ويشير المؤرخ اليهودى المعروف «سالو بارون - Salo Baron» إلى أن اقتران الصيغ

التجارية والتوراتية أمر له دلالاته، وهو يرى أن للبيان أهمية رمزية كبرى على الرغم من عدم وجود نتائج آنية له:

بيان نابليون الشهير للشعب اليهودى خلال الحملة المصرية عام ١٧٩٩م، وإن كانت نتائجها الأنية ضئيلة، يرمز إلى اعتراف أوروبا بحقوق اليهود فى فلسطين. لم يكن نابليون يسعى لحل القضية اليهودية بدافع من حبه للآخرين. إن اعترافه الذكى بمصلحة اليهود الذين حاول أن يضمهم لجيشه، ودعمه للأمل الذى حصل عليه اليهود من الكتاب الإنجليز والفرنسيين مؤشر على مدى شحن الجو الأوروبى بالتوقعات المتعلقة بالمسيح المنتظر<sup>(٨)</sup>.

راقت الفكرة الصهيونية لنابليون، حيث إنها كانت تتسجم مع مفهومه الرومانسى عن القومية، واهتمامه السياسى الشخصى باستغلال اليهود فى خططه الاستعمارية. وجاء فى مذكراته التى كتبها فى سانت هيلينا:

كان «التكتل» وهو تجميع الشعب الذى توحدته الجغرافيا وتفرقه الثورات والعمل السياسى أحد مثلى العليا، ففى أوروبا ٣٠ مليون فرنسى و١٥ مليون إسبانى و١٥ مليون إيطالى و٣٠ مليون ألمانى. لقد كان فى نيتى أن أجمع كلاً من هذه الشعوب فى دولة قومية مستقلة<sup>(٩)</sup>.

على هذا، فقد كان بيان نابليون بمثابة اعتراف دولى بوجود قومية يهودى، واعتقاده ببعث أمة يهودية فى فلسطين، فملايين اليهود المشتتين فى أوروبا يجب أن يجمعوا فى نهاية المطاف فى دولة يهودية فى فلسطين تخدم المصالح الاستعمارية الفرنسية عن رضا.

### الصهيونية والطموحات الفرنسية فيما وراء البحار

لم يكن تظاهر نابليون بالصهيونية لفترة وجيزة حدثاً منفصلاً عن تاريخ الاستعمار الفرنسى، رغم أن الصهيونية الفرنسية كانت تفتقر إلى الاستمرارية والتدفق المنقطع الذى تميز به تيار الأفكار الصهيونية البريطانية غير اليهودية.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، كانت الأفكار الصهيونية التي ترسخت في فرنسا، ووجدت فكرة البعث اليهودي منطلقاً لها في القرنين السابع عشر والثامن عشر من خلال التعاليم الدينية المقترنة بأخلاقيات العهد القديم المتزمتة التي كان يبشر بها الهوجنوت البروتستانت والجنسينيين الكاثوليك (\*). ومع أن فكرة البعث اليهودية لم تلق رواجاً كالذي لقيته في إنجلترا خلال هذه الفترة، إلا أن فرنسا وجدت نظيراً لأوليشر كرومويل تمثل في شخص «جين باپتيسست كولبرت - Jean Baptiste Colbert» كبير وزراء الملك لويس الرابع عشر، وأحد دعاة المركاتلية الذي تحدث كسلفه كرومويل عن المكاسب الاقتصادية التي يمكن أن تجنيها فرنسا من اليهود نتيجة خبرتهم التجارية، وعلى ذلك فقد كان متعاطفاً مع وجود يهودي في فرنسا<sup>(١٠)</sup>.

وانتعشت الصهيونية غير اليهودية فيما بعد ناپليون أيام إمبراطورية ناپليون الثالث الثانية (١٨٥٢ - ١٨٧٠م) عندما تجددت الأنشطة الاستعمارية على نطاق أشد، فقد ضم ناپليون الثالث الجزائر في شمال إفريقيا، وأقام محمية فرنسية في الهند الصينية انطلاقاً من سياسته الخارجية العدوانية، كما كانت له طموحات في الشرق الأوسط. وفي عام ١٨٥٤م، أقحم ناپليون الثالث فرنسا في حرب القرم مع روسيا متذرعاً بحماية الرهبان الكاثوليك في الإمبراطورية العثمانية.

وكان الممثل الرئيسي للصهيونية غير اليهودية في هذه الحقبة هو «إرنست لاهاران - Ernest Laharanne» السكرتير الخاص لناپليون الثالث، والذي كان يؤيد بشكل سافر خطط ناپليون لاحتلال الشرق. وفي عام ١٨٦٠م، وضع كتاباً بعنوان «المسألة الشرقية اليهودية - وإحياء القومية اليهودية»، استعرض فيه مناقشات الإنجليز الصهيونيين غير اليهود المؤيدة للاستيطان اليهودي في فلسطين، وأكد المكاسب الاقتصادية التي ستجنيها أوروبا إذا ما أقام اليهود في وطنهم القديم. وتحدث بإعجاب كبير عن الشعب اليهودي الذي «شق طريقاً رئيسياً وطرقاً جانبية أخرى جديدة للحضارة الأوروبية. ولما كان من الممكن إنقاذ حضارة الشرق الأوسط المتداعية بحقن من الحضارة الأوروبية، فإن على أوروبا كلها أن تساعد على انتزاع فلسطين من الإمبراطورية العثمانية وإعطائها لليهود. وقد عبر لاهاران عن فكرته عن اليهود كجنس بقوله «يا لهم من مثل يحتذى! ويا لهم من

(\* ) الهوجنوت هم البروتستانت الفرنسيون، والجنسينيين هم أتباع جنسينوس صاحب مذهب النعمة الإلهية والخبيرية.

جنس! إننا نحنى رءوسنا لكم أيها الرجال الأشداء. لقد كنتم أقوىاء بعد مأساة القدس؛ لأنكم كنتم كذلك طوال تاريخكم القديم، وإن الباقين منكم يمكن أن ينهضوا من جديد ويعيدوا بناء بوابات القدس»<sup>(١١)</sup>.

لم تتمخض هذه الدعوة التي تعيد للأذهان بيان بونابرت عام ١٧٩٩م عن نتائج سياسية آنية، ومع ذلك فإن جيل الصهيونيين اليهود الجديد الذي كان أخذاً في الظهور على مسرح التاريخ اليهودي تبنى تلك الأفكار. ففي عام ١٨٦٢م، نشر «موسى هس - Moses Hess»، أحد الآباء المؤسسين للصهيونية اليهودية، كتابه «روما والقدس» الذي اقتبس فيه الكثير من كتاب لاهاران، وكان واثقاً أن فرنسا ستدعم المساعي الصهيونية في فلسطين:

الأتزلون تشكون في أن فرنسا ستساعد اليهود على إقامة مستعمرات  
قد تمتد من السويس إلى القدس، ومن ضفتي نهر الأردن حتى البحر  
المتوسط؟ إن فرنسا ستوسع مهمة التحرير لتشمل الأمة الصهيونية.  
ويبدو أن الفرنسيين واليهود قد خلق كل منهما للآخر في كل  
شيء<sup>(١٢)</sup>.

## التوسع الأوروبي وفلسطين اليهودية

برزت فكرة البعث القومي اليهودي من جديد في الثقافة الغربية الأوروبية في أكثر الأوقات ملاءمة من ناحية سياسية، فخلال القرن التاسع عشر أصبح الوجود اليهودي في فلسطين - بغض النظر عن دلالاته النبوية الدينية السابقة، ودلالته في مناصرة النفعية والسامية - قضيةً سياسيةً بالنسبة للدول الأوروبية التي كانت تصبو إلى التوسع فيما وراء البحار، وإقامة الإمبراطوريات. وتم ربط الأفكار الدينية والإنسانية بذكاء مع السياسة الواقعية القائمة على الحصول على نفوذ في الشرق الأدنى أو تقويته. وأصبحت السلطات الدينية والدينية تتاجر بالأفكار الصهيونية، نظراً لجدواها المحتملة في الوضع السياسي السائد. ووجدت فلسطين نفسها تدور فجأة في فلك السياسة الأوروبية وواقعة تحت قوى النفوذ المتصارعة للدول الرئيسة جميعاً، وهي «فرنسا وبريطانيا وروسيا» وكان ذلك تحت شعار «المسألة الشرقية». كانت نقطة الارتكاز فيما يسمى

«المسألة الشرقية» هي وضع الإمبراطورية العثمانية المتردى الذي كانت فلسطين جزءاً لا يتجزأ منه . وكانت حملة نابليون الطموح للشرق ، ومحاولات قطع خطوط المواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها الشرقية قد عجلت في تداعى الإمبراطورية العثمانية . كما أن تمزق هذه الإمبراطورية ذات الموقع الإستراتيجى ، والممتدة من بحر الأدرياتيك حتى الخليج العربى ، كان يعد مشكلة خطيرة لميزان القوى القائم فى أوروبا .

وكان الأمر الذى يقض مضاجع أوروبا فى القرن التاسع عشر هو طموح روسيا للتقدم جنوباً، وهى التى كانت تنتظر بفارغ الصبر فى عهد نيكولا الأول سقوط الإمبراطورية العثمانية أملاً فى أن يمهد ذلك لها الطريق للتوسع فى اتجاه البلقان . ومع بداية القرن التاسع عشر كانت قوة روسيا فى المنطقة تنذر بالخطر ، لا بسبب وجود أسطولها فى البحر الأسود فحسب ، بل إنها كانت قد احتلت بعض أراضي الإمبراطورية العثمانية على أثر سلسلة من الحروب الروسية التركية . فضلاً عن ذلك ، فإن روسيا كانت قد حصلت على حق حماية مصالح جميع رعايا السلطان من الأرثوذكس .

وكانت حملة نابليون عام ١٧٩٩م ، قد أثارت اهتمام بريطانيا بالشرق الأوسط ، وبخاصة فلسطين ؛ حيث كانت أهمية المنطقة الإستراتيجية للإمبراطورية البريطانية أمراً معروفاً . وكان من نتائج الحاجة الماسة لمنع سيطرة فرنسا على المنطقة أن قامت معركة النيل وعكا ، كما توجهت حملة عسكرية بريطانية شرقاً . وسرعان ما أصبح هم بريطانيا الأكبر هو كبح جماح روسيا عن طريق دعم السيادة التركية بأى ثمن .

وكان تأييد بريطانيا لوحدة أراضي الإمبراطورية العثمانية متناقضاً فى بعض الأحيان ، بدليل دعم وزير الخارجية «ستراتفورد كاننج - Stratford Canning» لاستقلال اليونان عن السلطان ، وانتهت الحرب التركية الروسية عام ١٨٢٨م بعقد معاهدة أدريانوبل التى سمحت فى تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية بسبب منحها اليونان الاستقلال وإقامة وصاية روسية فى مقاطعات البلقان كافة . ويبدو أن كاننج لم يكن يرى فى استقلال اليونان ما يتعارض مع إعادة استقرار الإمبراطورية العثمانية .

وعندما تولى اللورد بالمستون وزارة الخارجية عام ١٨٣٠م لأول مرة ، كان ضعف الإمبراطورية العثمانية المستشرى ظاهراً للعيان ، وكانت سياسة بريطانيا تجاهها غير مستقرة ، ففى أعقاب معاهدة «أنكيار سكلسى - Unkiar Skelessi» عام ١٨٣٣م التى

أقامت تحالفًا بين القيصر والسلطان، أظهرت بريطانيا تصميمًا على إحياء سياستها التقليدية، وهى تعزيز مركز السلطان من خلال تحديث جهازه الإدارى والعسكرى<sup>(١٣)</sup>.

### بالمستون والسياسة البريطانية الاستعمارية فى الشرق الأوسط

كان اللورد بالمستون (١٧٨٤ - ١٨٦٥ م) أهم نصير سياسى لمشروع اللورد شافتسبرى الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين، كما أنه كان أول من اكتشف الفكرة السياسية فى صلب الحلم الدينى البروتستانتى، لم يكن بالمستون بروتستانتيًا مؤمنًا، كما أن معرفته بالتاريخ العبرى لم تكن كفيلا بأن تجعله يفرق بين إبراهيم وموسى. ولم يكن بالرجل الذى تؤثر فيه الأفكار الدينية، ولكنه كان سياسيًا محنكًا أدرك ما خلفته الأفكار الصهيونية البروتستانتية من آثار فى الرأى العام. وقد قالت زوجته ذات مرة للأميرة ليثن:

إن العناصر الدينية والمتعصبة تقف إلى جانبنا، وأنت تدركين قوة أتباعها فى هذا البلد. إنهم مصممون تمامًا على أن تستبقى القدس وفلسطين كلها لليهود ليعودوا إليها. إن مهمهم الأوحد هو إعادة اليهود<sup>(١٤)</sup>.

ويرى وبستر Webster فى تاريخه لعهد بالمستون أن الدافع «كان إرضاء قطاع مهم من الرأى العام أكثر منه أسبابًا إنسانية»<sup>(١٥)</sup>، لكن استرضاء الرأى العام كان أقل أهمية من الوصول إلى تسوية للمسألة الشرقية من خلال استعمار فلسطين.

### إبقاء «الرجل المريض» حيًا

كان الوضع السياسى الذى تطور فى الشرق الأوسط بعد تحدى محمد على للسلطان، يتطلب من بريطانيا أن تبذل قصارى جهدها لإبقاء الإمبراطورية العثمانية سليمة، فقد كانت بريطانيا بحاجة إلى من تحميه فى الشرق الأدنى ليرعى مصالحها فى المستقبل هناك.

«وبالمقارنة بالفرنسيين الذين كانوا يتمتعون بنفوذ محلي باعتبارهم حماة الكاثوليك، والروس الذين كانوا يدعمون اليونان الأرثوذكس، فلم يكن لبريطانيا من تشمله بحمايتها بسبب الدين المشترك<sup>(١٦)</sup>. وكانت مخاوف بريطانيا على مركزها في الشرق الأدنى متركزة على فرنسا وروسيا اللتين كانتا تتلفهان على موت «رجل أوروبا المريض» أملاً في الحصول على نصيبهما من تركة الإمبراطورية.

كان اليهود في نظر بالمستون، كوزير للخارجية البريطانية، يمثلون عنصراً أساسياً لدعم السلطان ضد أية خطط شريرة في المستقبل يفكر بها محمد على أو من يخلفه<sup>(١٧)</sup>، وكان اللورد شافتسبري قد أطلع اللورد بالمستون زوج حماته على المزايا السياسية لفلسطين اليهودية، فقد جاء في يومياته في ١ أغسطس ١٨٣٩ م ما يلي:

تناولت طعام العشاء مع بالمستون، ثم بقينا وحدنا. أفصححت له عن مشروعاتي (للاستيطان اليهودي في فلسطين) التي يبدو أنها وجدت هوى في نفسه. أثار بعض الأسئلة ووعده بالنظر فيه. كم هي رائعة العناية الإلهية! إنها رائعة إذا قومت بالوسائل البشرية. لقد اختار الله بالمستون ليكون أداة الخير لشعبه القديم. ويظهر الولاء لإرثهم ويعترف بحقوقهم دون أن يؤمن بقدرهم. يبدو أنه سيفعل أكثر من ذلك. مع أن الدافع نبيل لكنه ليس قوياً. إنني مضطر لمناقشة الموضوع من ناحية سياسية ومادية وتجارية. أنه لا يبكي كسيده على القدس ولا يدعو لها بأن ترتدى حللها الجميلة<sup>(١٨)</sup>.

وفي عام ١٨٣٨ م، وبناء على إلحاح شافتسبري، نفذ اللورد بالمستون قراراً سابقاً بفتح قنصلية بريطانية في القدس وتعيين نائب قنصل هناك. وظهرت عدة تفسيرات للأسباب التي دفعت بـ «المستمون لاتخاذ هذا القرار، فبعض المؤرخين يرى أن ذلك كان ناجماً عن اهتمام بالمستون بعودة اليهود، ونيته في استغلال الوجود اليهودي داخل الإمبراطورية العثمانية لتعزيز النفوذ البريطاني في الشرق الأدنى. ويرى آخرون، ومنهم «ماير فيريت - Mayir Verete»، أن قرار بالمستون ليس إلا جزءاً من سياسته العامة «بإقامة شبكة من القنصليات في ممتلكات السلطان من أجل إيجاد مصالح جديدة لبريطانيا أو الدفاع عن المصالح القائمة هناك، ومقاومة مصالح

القوى الأخرى وبخاصة روسيا»<sup>(١٩)</sup>. ويرى ماير أن لا علاقة للعنصر اليهودى بالموضوع كلياً.

لم يكن هناك بالتأكيد نقاش رسمى حول علاقة القضية اليهودية بقرار فتح قنصلية فى القدس، ولكن كان من المؤكد أنه لا بد من ظهور اهتمام بالعمل اليهودى عند افتتاح القنصلية عام ١٨٣٤ م. فمراسلات بالمستون مع سفيره للباب العالى پونسونبى Viscount John Ponsonby واختياره «ويليام يونج - William Young» - وهو كتابى متدين وصديق للورد شافتسبرى - ليكون أول نائب قنصل فى القدس عام ١٨٣٨ م تدل على أن للعامل اليهودى دوراً فى قرار بالمستون النهائى.

### ويليام يونج؛ حامى اليهود فى فلسطين

عندما عين بالمستون يونج نائباً للقنصل فى القدس، كانت تعليماته تنص بالتحديد على أن من بين مهامه حماية كل اليهود المقيمين فى فلسطين، كما طلب منه أن يبعث تقريراً لوزارة الخارجية عن حالة السكان اليهود فى الأراضى الواقعة ضمن نطاق سلطاته القنصلية.<sup>(٢٠)</sup> وكانت تعليماته «لتقديم الحماية لليهود بشكل عام» تتضمن اعترافاً باليهود كأمة وارتباطهم بفلسطين قبل وضع البرنامج الصهيونى اليهودى بأمد طويل. وفى مايو ١٨٣٩ م، وتنفيذاً لتعليمات بالمستون، أرسل يونج إلى وزارة الخارجية تقريراً يقول فيه: إن عدد اليهود المقيمين فى فلسطين ٩٦٩٠ شخصاً، وإن وضعهم بائس، وإنهم يعتمدون اعتماداً كاملاً على المساعدة الخارجية<sup>(٢١)</sup>.

وكان حماس يونج لتقديم الحماية «لليهود بشكل عام» يفضى كثيراً إلى نزاع مع القنصل البريطانى المقيم فى مصر، الكولونيل باتريك كامبل، الذى شعر بأن حماس يونج المبالغ فيه دفعه لتجاوز حدود سلطته. وكانت الحماية القنصلية البريطانية تشمل، طبقاً لمعاهدة الحقوق المعروفة، اليهود المقيمين فى فلسطين الذين يحملون جنسيات أخرى، أما يهود الإمبراطورية العثمانية (يهود الراهية) فكانوا يعتبرون رعايا للإمبراطورية خاضعين لتشريعات السلطان، وكتب كامبل «ليس لك حق فى حمايتهم أكثر مما للنمسا أو لفرنسا من حق فى حماية المواطنين الكاثوليك، أو لروسيا أو اليونان فى حماية الرعايا الروم»<sup>(٢٢)</sup>. ودافع يونج عن تصرفاته قائلاً إنها تتماشى مع تعليمات بالمستون الشخصية فى ٣١ يناير عام ١٨٣٩ م «لقد كانت رغبة بالمستون التى لا لبس

فيها هي جعل العبرانيين في فلسطين يدركون موقف بريطانيا الودي تجاههم، ورغبتها في حمايتهم من ظلم جيرانهم وظلم السلطات المحلية لهم»<sup>(٢٣)</sup>.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت الرحلة القومية للشعب اليهودي أحد التأكيدات المعطاة للصهيونية اليهودية، ولكن بالمستون الذي وقف إلى جانب يونج في نزاعه مع كامبل، كان قد اتخذ هذا الموقف قبل ذلك بنصف قرن عندما خلط بين يهود «الحماية» ويهود «الراية» ولم يفرق بينهما. وكان التدخل البريطاني لصالح يهود الراية يعتبر من الناحية القانونية تدخلاً في الشؤون الداخلية لبلد أجنبي.

كان دعم بالمستون للاستيطان اليهودي في فلسطين جزءاً متمماً لنزعاته الصهيونية، وفي هذا الإطار الدولي كان دعمه لخطة اللورد شافتسبري الداعية لإعادة اليهود بشكل جماعي إلى فلسطين يظهر أحاسيسه السياسية.

### الاستيطان اليهودي / المصالح البريطانية

كان الرأي العام يؤيد منذ أمد طويل الاستيطان اليهودي في فلسطين، أما على الصعيد السياسي فقد كانت قضية الاستيطان جديدة، وكان بالمستون رجلاً واقعياً مهتماً بالمكاسب السياسية التي يمكن أن تجنيها بريطانيا من خطة الاستيطان، وكان مدركاً أنه لا بد من إقناع الدوائر السياسية الإنجليزية بذلك. وفي يناير عام ١٨٣٩م، تلقى بالمستون مذكرة يفترض أنها مرفوعة من سكرتير البحرية البريطانية - هنري إنس «نيابة عن الكثيرين ممن ينتظرون تحرير إسرائيل»، وكانت المذكرة موجهة «إلى كل دول شمال أوروبا وأمريكا البروتستانتية» وتطالب الحكام الأوروبيين بأن يقتدوا بقورش وينفذوا إرادة الله عن طريق السماح لليهود بالعودة إلى فلسطين. ومع أن المذكرة كانت مكتوبة بأسلوب إنجليكاني، وتتضمن الكثير من الاقتباسات من التوراة، إلا أنها كانت تظهر انتقال الصهيونية غير اليهودية من مرحلة التوقعات الكتابية الدينية إلى التدخل السياسي النشط. وقام بالمستون برفع المذكرة للملكة فيكتوريا التي كانت معروفة بورعها<sup>(٢٤)</sup>.

حظيت المذكرة بتغطية واسعة من الصحافة، واعتبرت الصحف المرموقة كالتايمز وجلوب - وهي الجريدة شبه الرسمية لوزارة الخارجية - أن الاستيطان اليهودي أمر

مفروغ منه، وأعاد التايمز نشر «مذكرة لحكام البروتستانت» بعد مضي أكثر من عام على إصدارها<sup>(٢٥)</sup>، وبعد خمسة أشهر ظهرت مقالة بعنوان «سوريا - بعث اليهود» تشير إلى أن «اقتراح توطين اليهود في أرض آبائهم وبحماية القوى الخمس لم يعد مسألة تأمل وتفكير، بل قضية سياسية خطيرة»<sup>(٢٦)</sup> وأثارت المقالة هذه لأول مرة، قضية رغبة اليهود واستعدادهم للتعاون مع الصهيونيين غير اليهود في مثل هذا المشروع.

### اليهودية غير الصهيونية

مع أن النقاش العام كان يتزايد، فإن المشاركة اليهودية بقيت قائمة في الظلال؛ ذلك أن قلة من اليهود الإنجليز كانت راغبة في عمل شيء ما بالنسبة لمشروع العودة. وعندما استفسر اللورد بالميرستون شخصياً من مجلس الوكلاء اليهودي في لندن عن مدى مساهمة اليهود في مشاريع الاستيطان لم يحظ بجواب شاف. عندما بعث رسالة مثيرة إلى سفيره في القسطنطينية بونسونبي في ١١ أغسطس عام ١٨٤٠م جاء فيها:

يسود بين اليهود الشرقيين في أوروبا شعور جياش بأن الوقت الذي سيعود فيه شعبهم إلى فلسطين بات وشيكاً، وبالتالي فإن شوقهم للذهاب إلى هناك عارم، وأصبح تفكيرهم موجهاً أكثر من قبل نحو وسائل تحقيق ذلك. ومن المعروف أن يهود أوروبا يملكون ثروة ضخمة، وأن أي بلد تختاره مجموعة كبيرة منهم لسكنائها سيجنى فوائد جمة من الثروات التي سي جلبونها معهم. . . ومن المفيد للسلطان أن يشجع اليهود على العودة إلى فلسطين واستيطانها؛ لأن الثروة التي سي جلبونها معهم ستضاعف موارد ممتلكاته. وإذا ما عاد اليهود بموافقة وحماية ودعوة السلطان، فإنهم سيحولون دون أية خطط شريرة قد يفكر فيها محمد على أو خلفه في المستقبل. . . (٢٧).

وتبين الفقرة الأولى من هذه الرسالة، أن بالميرستون كان يؤمن بصحة رأيه، وكان تقويمه لشوق اليهود للاستيطان في فلسطين مبنياً على مذكرة رفعها أي. س. كالمان أحد رعايا السلطان اليهود الذي كتب لبالميرستون:

يدرك اليهود أنه لا علاج لهم كشعب إلا عودتهم إلى الأرض المقدسة . . . وأن بياناً شبيهاً بذلك الذى أصدره قورش سيردد صداه مئات الألوف من يهود بولندا وروسيا وغيرها . سيردده الأغنياء كما سيردده الفقراء الذين سيستبدلون رضا الحياة الأكثر هدوءاً واستقراراً نتيجة فلاحتهم الأرض بنمط حياتهم الحالى المقلقل والمضطرب .

كانت مذكرة كالمان مضللة ولا تستند إلى أساس ، تماماً كرسالة بالميرستون إلى پونسونبى<sup>(٢٨)</sup> . وحتى المؤرخون الصهيونيون يعترفون أن اليهود الأوروبيين كانوا أيام حماس بالميرستون أبعد ما يكونون عن الرغبة فى الانشغال بأية خطة للاستيطان فى ولاية فلسطين العثمانية<sup>(٢٩)</sup> ، وكان اهتمامهم بالكفاح من أجل التحرير السياسى والمدنى فى بريطانيا أكبر من اهتمامهم بالاستيطان .

وكان اللورد شافتسبرى أكثر واقعية حين كتب لميرستون محذراً من التفاؤل الذى لم يكن فى محله :

سيرتاب الأغنياء ويستسلمون لمخاوفهم . أما الفقراء فسيؤخرهم جمع المال - وإن قلة منهم لتفضل مقعداً فى مجلس العموم فى بريطانيا على مقعد تحت أشجار العنب والتين فى فلسطين ، وقد تكون هذه أحاسيس بعض الإسرائيليين الفرنسيين . أما يهود ألمانيا الكفار فيحتمل أن يرفضوا الاقتراح<sup>(٣٠)</sup> .

وعلى الرغم من عدم حماس اليهود ومعارضة السلطان ، وتحذير شافتسبرى ، استمر بالميرستون فى مشروعه على المستوى الدبلوماسى . فى ٤ سبتمبر عام ١٨٤٠ م ، كتب لسفيره فى القسطنطينية ، وهو أحد معارضى المشروع ، يذكره :

لا تتوان عن متابعة نصحى للباب العالى بدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين . إنك لا تدرك مدى ما سيثيره مثل هذا الإجراء من اهتمام المتدينين فى هذا البلد بقضية السلطان . إن نفوذهم كبير واتصالاتهم واسعة . فضلاً عن ذلك ، فإن هذا الإجراء فى حد ذاته سيكون ذا فائدة كبيرة للسلطان ؛ إذ إنه سيجلب إلى ملكه عدداً كبيراً من الأثرياء الرأسماليين الذين سيوظفون الناس ويشرون الإمبراطورية<sup>(٣١)</sup> .

## إحياء شباب تركيا

كان بالمرستون مصمماً على تسوية المسألة الشرقية من خلال استيطان اليهود لفلسطين، رغم أنه لم يكن يلقي تأييداً من غير صحافة المحافظين. وكان وزير الخارجية البريطاني يرى أن الوجود اليهودي في فلسطين يحقق مكسبين للمصالح البريطانية: مكسباً مباشراً وهو وجود مجموعة موالية لبريطانيا في منطقة ليس لها فيها من يوليها، كما أن أهميتها بالنسبة للمصالح الاستعمارية البريطانية في الخارج كانت تتزايد، ومكسباً غير مباشر وهو تدفق رأس المال والعمالة اليهودية التي يحتاجها السلطان لدعم نظامه الاقتصادي المنهار تقريباً.

لم تكن خطة بالمرستون لإحياء شباب تركيا تعتمد على تفكيره في الأموال اليهودية فحسب، بل على إعجابه الشديد بالثقافة والمهارة اليهودية، وما سيحدثه ذلك من أثر في «تركيا المتأخرة». وهكذا كان عامل الصهيونية العرقي واضحاً ملموساً. والواقع أن كل الصهيونيين غير اليهود آنذاك كانوا يقللون من شأن الحضارة الشرقية والإسلام. ولو أجريت دراسة مفصلة للرأي العام، لكان من المحتمل أن تظهر، أن هناك ارتباطاً بين معتققي الأفكار الموالية للصهيونية والتحيز ضد العثمانيين، فعندما قامت الثورة اليونانية (١٨٢٠ - ١٨٢١م) التف الرأي العام في أوروبا، وبخاصة في بريطانيا، حول القضية اليونانية، وكان يقف ضد الإمبراطورية العثمانية «المتأخرة المتوحشة». وأصبح الربط بين «تأخر ووحشية» الإمبراطورية والدين الذي تعتنقه أمراً شائعاً، وأضحى الإسلام دليلاً على عدم الكفاءة والطغيان، بل إنه اعتبر سبباً لاضمحلال الإمبراطورية العثمانية.<sup>(٣٢)</sup> وعندما وصل ستراتفورد كاننج إلى القسطنطينية في يناير عام ١٨٣٢م سفيراً لبلاه، بعث رسالة رسمية إلى وزارة الخارجية في لندن قال فيها:

**«لا أرى بديلاً لها (الحضارة العثمانية) سوى الحضارة النصرانية»<sup>(٣٣)</sup>.**

كان اليهود يعتبرون مختلفين عن بقية سكان فلسطين، وينظر إليهم على أنهم رمز الحضارة الأوروبية في الإمبراطورية الإسلامية، وانتهى بالمرستون وزملاؤه في وزارة الخارجية إلى أن الإمبراطورية يمكن أن تحيا إذا ما جرى تحديثها - لإحياء شبابها - على أسس غربية، وقد نرا ذلك بخطة الاستيطان اليهودية<sup>(٣٤)</sup>. وكانت هذه هي خلفية العرض الذي قدمه بالمرستون للسلطان لدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين، مؤكداً في

رسالة ثانية إلى پونسونى أن الوجود اليهودى بما فى ذلك ثروة اليهود وصناعتهم سيعزز «تقدم الحضارة»<sup>(٣٥)</sup>.

## الصهيونيون الإنجليز قبل هرتزل

كان من بين أنصار بالمستون داخل وزارة الخارجية البريطانية إدوارد ل. ميتفورد والكولونيل جورج جولر من مكتب المستعمرات فى لندن.

### إدوارد ميتفورد - Edward Mitford

أخذ ميتفورد يدعو فى آخر الأمر إلى صهيونية أشد تطرفاً، وإلى إقامة دولة متكاملة. وفى عام ١٨٤٥م، قدم خطة نيابة عن الأمة اليهودية بخصوص السياسة البريطانية فى الشرق:

الخطة التى اقترحها هى إيجاد أمة يهودية فى فلسطين كدولة محمية تحت وصاية بريطانيا العظمى أولاً. ثم توطينهم نهائياً كدولة مستقلة عندما تكتسب المؤسسات الأم القوة الكافية لإنهاء الوصاية...<sup>(٣٦)</sup>.

ومن بين «المزايا التى لا تحصى»، المزايا الاقتصادية والإستراتيجية التى تعد أساسية، فالدولة اليهودية ستضع «إدارة مواصلاتنا التجارية فى أيدينا تماماً، وستجعلنا مسيطرين على الشرق بحيث نستطيع أن نحد من الانتهاكات، ونرهب أعداءنا ونحول دون تقدمهم إذا دعت الضرورة»<sup>(٣٧)</sup>. وكانت الملاحه خلال أربعينيات القرن التاسع عشر قد جعلت الشرق الأدنى مهماً لسيطرة بريطانيا على الطريق للهند، فالسفن التجارية بحاجة إلى التزود بالوقود؛ ولذا فإن السفن البريطانية كانت تستعمل طريق البحر المتوسط - البحر الأحمر عبر السويس بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح الطويل.

وكان ميتفورد، كغيره من الصهيونيين، منحازاً لليهود، فقد وصفهم بأنهم شعب متفوق تتجسد فيه صفات الشجاعة والمثابرة التى جعلتهم جديرين بدولة مستقلة لهم فى فلسطين، ولكنه كان بعيد النظر بحيث أثار مشكلة السكان العرب فى فلسطين:

البلاد غير مكتظة بالسكان حاليًا بالنسبة لمساحتها، ولكن الضغط الواقع على السكان الفعليين بسبب هذا العدد من الغرباء قد تكون له نتائج ضارة؛ لذا فمن المستحسن تهيئة البلاد لاستقبالهم قبل محاولة التوصل إلى تسوية. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إغراء الحكومة التركية بجعل السكان المحمديين يعودون إلى آسيا الصغرى الواسعة التي لم تفلح إلا جزئيًا... (٣٨).

### جورج جowler - George Gawler

كان جowler، على يقين بأن اليهود وحدهم هم القادرون على دعم الإمبراطورية العثمانية من خلال الاستعمار، ولكن موقفه كان بالمرستونيًا أكثر من سلفه، فقد أوصى في كتيبه «تهدئة سوريا والشرق» عام ١٨٤٥م بإقامة مستعمرات يهودية بشكل تدريجي على أن تكون تحت الحماية البريطانية بموجب اتفاق مع الحكومة العثمانية، ثم يمنح اليهود في النهاية حكمًا ذاتيًا تحت حماية بريطانيا العظمى. وكان يرى أن فلسطين اليهودية هي الضمان الوحيد لاستمرار نفوذ بريطانيا في الشرق. وفي الأول من أكتوبر عام ١٨٤٧م، كتب ليعقوب فرانكلين، وهو حاخام يهودي إنجليزي:

إذا كان لي أن أتمس المبررات لمساهمتي في تأسيس مستعمرة في أستراليا الجنوبية، ففي طليعتها احتمال أن يكون ذلك وسيلة لي للبحث على استعمار فلسطين. إنني أعتقد أن أعداء إسرائيل وراء الهجمات المستمرة ضد إنجازاتي في أستراليا، وهم من ذوى المناصب العليا الذين لا خلاق لهم... ومع أنني من المحافظين في السياسة، فإنني أشعر بالغبطة وأنا أرى تقدم التحرر المدني لإخوانكم في إنجلترا وأوروبا؛ لأنني أعتقد أنهم أهل لذلك، ولإيماني بأن كل خطوة نحو التحرر هي تحرك نحو فلسطين... إن الامتيازات في الدول المسيحية تهدد قوميتكم... يجب أن تكون لكم نقطة ارتكاز تحافظون عليها... (٣٩).

وكانت وجهة نظره من تحرير اليهود هي وجهة نظر الكثير من الصهيونيين غير اليهود في وقت كان التحرير يحتل المكان الأول بالنسبة لليهود الأوروبيين .

## تشارلز هنري تشرشل

كان تشرشل واحداً من الرعيل الأول من الصهيونيين السياسيين غير اليهود، وقد عمل ضابطاً في الحملة البريطانية التي أرسلت إلى سوريا لمساعدة السلطان على الإطاحة بمحمد علي . كان تشرشل ينتقد سياسة بالمرستون الشرقية التي ترمى إلى الإبقاء على الإمبراطورية العثمانية على قيد الحياة قدر المستطاع، ويدعو بدلاً من ذلك إلى تحرير سوريا وفلسطين من تركيا ووضعها تحت الوصاية البريطانية . أما اليهود فهم في نظره مستوطنون، وحماة للمصالح البريطانية .

وبمقارنة تشرشل مع بالمرستون، نرى أنه أظهر تفهماً أكثر واقعية لأحوال اليهود في أوروبا آنذاك، فقد كان يدرك أنه ليست «لدى اليهود الأوروبيين نية صادقة للعودة إلى فلسطين»؛ ولذا بدأ يروج لهذه الفكرة بينهم . وفي ١٤ يونيو عام ١٨٤١م، كتب «الموسى مونتفيور - Moses Montefiore»، رئيس مجلس الوكلاء اليهودي في لندن :

لا أخفى عنك رغبتى الجامحة في أن أرى قومك يحاولون استعادة وجودهم كشعب، وأرى أن الموضوع ميسور تماماً . لكن هناك شرطين ضروريين لذلك : أولهما : أن يتولى اليهود أنفسهم الموضوع عالمياً وبالإجماع، وثانيهما : أن تساعدكم القوى الأوروبية على تحقيق أهدافهم<sup>(٤١)</sup> .

وفي عام ١٨٤٢م، بعث تشرشل رسالة إلى مونتفيور طالباً منه أن ينقل لليهود الألمان «خطاباً ألمانياً» أرفقه مع رسالته، واقترح فيه «أن يقدم يهود إنجلترا، بالتعاون مع إخوتهم في أوروبا، طلباً للحكومة البريطانية بوساطة وزير خارجيتها إيرل أبردين لإيفاد شخص كفء للإقامة في سوريا تكون مهمته الإشراف على مصالح اليهود هناك»<sup>(٤٢)</sup>، لكن هذا قوبل بالرفض اليهودي . وجاء في قرار لمجلس الوكلاء اليهودي في ٧ نوفمبر عام ١٨٤٢م، «من المستحيل البدء بأية إجراءات لتنفيذ وجهة نظر الكولونيل تشرشل الطيبة تجاه يهود سوريا»<sup>(٤٣)</sup> .

## الصهيونية تتأخر قبل أن تعلن

بقيت الصهيونية حتى منتصف القرن التاسع عشر مقتصرة على غير اليهود، فقد كان أولئك الذين اختاروا مناصرة الشعب اليهودي وحقه في العودة إلى فلسطين يفعلون ذلك بدافع شخصي وليس بالتعاون مع الشعب اليهودي. ويشير المؤرخون الصهيونيون الحديثون إلى أن غير اليهود من أمثال بالمرستون وميتفورد وجولر وتشرشل كانوا يؤذنون بمجىء الحركة الصهيونية الحقيقية، ولكنهم كانوا أكثر من مجرد رواد لهذه الحركة؛ إذ كانوا صهيونيين مخلصين في صهيونيتهم مثل «وايزمان أو هرتزل أو نوردو». كانت المبادئ الصهيونية الأساسية موجودة وواضحة المعالم: فهناك فكرة وحدة الشعب اليهودي، وفكرة الارتباط الذي لا تنفصم عراه بفلسطين على أمل العودة إليها. لقد أدرك بالمرستون ورفاقه الصهيونيون كلتا الفكرتين واستخدموهما قبل أن ينسبهما اليهود لأنفسهم بعشرات السنين.

\* \* \*

## هوامش الفصل الثالث

(١) كما ورد في :

Franz Kobler. *Napoleon and the Jews* (New York, 1975) pp. 7 - 55.

(٢) انظر : رسالة وايزمان لونستون تشرشل الواردة في :

Richard Crossmas. *A Nation Reborn* (London, 1956) p. 130.

(٣) تكشف النص المزدوج الوارد في البيان حديثًا عندما اكتشف فرانز كوبلر عام ١٩٤٠ مخطوطة ألمانية للنص الفعلي للبيان كانت في حوزة مهاجر ألماني في لندن . (فقد اختفى النص الأصلي منذ عهد بعيد ، وربما كان ذلك منذ هزيمته في عكا) . وكان المؤرخون قبل ذلك يعتمدون على الجريدة الفرنسية *Moniteur Unuverselle* الصادرة في ٢٢ مايو عام ١٧٩٩ .

(٤) كما تدعى بربارة تخمان في كتابها : *Bible and Sword* (London, 1956) p. 105

(٥) أعيد نشره في *St. James Chronicle* يوم ١٤ يوليو عام ١٧٩٨ و *The Monthly Visitor and Pocket Companion* ، ومجلد ٤ ص ٣٨٣-٣٨٦ بعنوان «رسائل كتبت حديثًا من يهودى إلى إخوانه» .

(٦) *La Decade Philosophique, Litteraire et Politique*, Vol. 6, Nos. 20 -- 21, 9 and 19, April 1798.

See also Albert M. Hyamson. *Palestine: The Rebirth of An Ancient People* (London, 1917), pp/ 3 - 162.

(٨) Salo W. Baron, *A Social and Religious History of the Jews* (New York, 1937), Vol. 2, p. 327.

(٩) Lsa Casas (ed.) *Memoires (of Napoleon)* (Paris. 1823(, Vol 1, p.247.

(١٠) W. Sombart, *Jews and Modern Capitalism* (new York, 1939) p. 39.

(١١) As quoted in Ferdinand Zweigm *Israel: The Sword and the Harp* (London, 1969), p. 243.

(١٢) Moses Hess, *Eome and Jerusalem. A Study in Jewish Nationalism*, translated by Meyer Waxman (New York, 1918). pp. 149, 167, 168.

(١٣) للمزيد من الدراسة المفصلة والتحليل الذكي لسياسة پارمستون المتعلقة بالشرق الأوسط خلال سنواته الأولى في وزارة الخارجية انظر :

Fredrick S.Rodkey, *Lord Palmerston and the Rejuvenation of Turkey, 1830 - 1841.*

*Journal of Modern History*, Vol. 1 No4, December 1929. pp. 570 - 593.

وكذلك القسم الثاني من المصدر السابق، مجلد ٢، رقم ٢، يونيو ١٩٣٠م، ص ١٩٣ - ٢٢٥.  
انظر كذلك :

Harold W. Temperley, England and the Near East: The Crimea (London, 1936).

(١٤) كما وردت في :

Sir Charles Webster, The Foreign Policy of Palmerston 1830 - 1841 (London, 1951) Vol. 2. p.761.

(١٥) المصدر السابق .

Isaiah Friedman, Lord Palmerston and the Protection of the Jewa in Palestine.(١٦)

. 1839 | 1839 - 1851, Jewish Social Studies, المصدر السابق .

(١٧) من بالمستون إلى برنسوني، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٣٨ / ٣٩٠ (رقم ١٣٤، ١١ أغسطس ١٨٤٠).

(١٨) كما وردت في Norman Bentwich and John M. Shaftesley Foreunners of Zionism in the Victorian Era, p. 210 See Also Edwin Hodder, The Life and Work of the Seventh Earl of Shaftesbury (London, 1886), Vol. 1. pp - 310.

Mayir Veretem, Why was a British Consulate established in Jerusalem Zion, Vol.(١٩)  
26. Nos. 3 - 4, 1961, pp. 37 - 215.

(٢٠) من بدول (وزارة الخارجية) إلى يونج، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨ / ٣٦٨ (رقم ٢) ٣١ يناير عام ١٨٣٩، مسودة المذكرة موقعة بالحروف الأولى لبالمستون .

(٢١) من يونج إلى بالمستون، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨ / ٣٦٨ (رقم ١٣) ٢٥ مايو عام ١٨٣٩ .

(٢٢) من كامبل إلى يونج، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨ / ٣٦٨ (رقم ٦) ٢٨ مايو ١٨٣٩ .

(٢٣) فرايدمان، المصدر السابق، ص ٢٦ .

(٢٤) من بالمستون للملكة فيكتوريا، ٢٢ يناير ١٨٣٩ . أعيد طبعها في الجزء الثاني - ملحق ٦٥، ص ٢٣١ - ٢٣٤ من كتاب : N, Sokolow, History of Zionism (London 1919).

(٢٥) التايمز (لندن)، ٩ مارس عام ١٨٤٠ .

(٢٦) المصدر السابق، ١٧ أغسطس عام ١٨٤٠ : أشارت مقالة مماثلة نشرت في صحيفة Globe في

١٤ أغسطس عام ١٨٤٠ بعنوان "A Regard for the Jews" إلى دور إنجلترا الخاص ومستوليتها في مساعدة اليهود على العودة إلى فلسطين .

(٢٧) من بالمستون إلى بونسونبي، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨ / ٣٩٠ (رقم ١٣٤) ١١ أغسطس عام ١٨٤٠ .

(٢٨) مغلف رقم ١ : من بالمستون إلى بونسونبي، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ١٩٥ / ١٦٥ (رقم ٢٦١) ٢٥ نوفمبر عام ١٨٤٠ .

(٢٩) لم تحظ محاولات الصهيونيين غير اليهود لتوطين اليهود في فلسطين بتأييد كبير من يهود بريطانيا، فقد رفض مجلس وكلاء لندن اليهودى التورط في هذا الموضوع على الرغم من أن موسى مونتفيور Moses Montefiore، أحد دعاة المستوطنات الزراعية في فلسطين كان رئيساً له في ذلك الوقت .

انظر :

Franz Kobler, The Vision was there (London 1956) pp. 65 - 66 and 68 - 71.

وانظر كذلك المصدر السابق pp. 207 - 209 Bentwick and Shaftesley، أما بالنسبة لليهود الأوروبيين فتكفى الإشارة هنا إلى أن مؤتمر الأحرار الذى عقد في فرانكفورت عام ١٨٤٥ م رفض فكرة العودة تماماً، وأقر «حذف جميع» التوسلات للعودة إلى أرض الآباء أو إحياء دولة يهودية (Frankfurtm 1845). p. 106) وبقيت اليهودية، حتى عام ١٨٧٢ م، ترفض صهيونية مستقبلها، وخلال المؤتمر اليهودى الدولى الأول الذى عقد في ذلك العام، اجتمع ممثلون عن يهود إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، والنمسا، والولايات المتحدة لدراسة حال اليهود في رومانيا، ولم يتطرق إلى أى حل عن طريق الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

(٣٠) متضمن في مغلف رقم ٢ في المصدر السابق .

(٣١) كما ورد في المصدر السابق لويستر Webster، مجلد ٢، ص ٧٦٢ .

(٣٢) انظر ص ٨٤-٨٧ من المجلد الأول للمصدر السابق لويستر، وكذلك رسائل أبردين إلى جوردون، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/١٧٩، ٢١ نوفمبر عام ١٨٢٩ م وفيها وصف أبردين الإمبراطورية العثمانية بأنها «بناء من القوة الهمجية سيتداعى سريعاً بسبب الوهن الداخلى» .

(٣٣) كما ورد ص ٢٦٤ من المجلد الأول من كتاب ويستر السابق .

(٣٤) من Finn إلى بالمستون، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/٨٧٤ (رقم ٢٠) ٧ نوفمبر عام ١٨٥١ م .

(٣٥) من بالمستون إلى بونسونبى، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/٤٢٧ (رقم ٣٣) ١٧ فبراير عام ١٨٤١ م، وقد صادقت الملكة فيكتوريا على هذه الرسالة .

(٣٦) انظر ص ٧٦ من كتاب كوبلر السابق، ١٩٥٦ م .

(٣٧) Israel Cohen, The Zionist Movement (New York, 1946). p. 52.

(٣٨) كما ورد في ص ٧٧ من كتاب كوبلر السابق .

(٣٩) كما ورد في ص ٢١٨ من كتاب Bentwick and Shafesley السابق .

(٤٠) ص ٥١ من كتاب كوهين السابق . كان تشارلس هنرى تشرشل حفيد دوق مارلبورو؛ ولذلك فهو الجلد الأعلى لونسون تشرشل .

(٤١) كوبلر، المصدر السابق، ١٩٥٦ م، ص ٦٥-٦٦ .

(٤٢) المصدر السابق، ص ٦٦ .